الفصل الخامس: معارضة خطّة الخلق

إنّ تأييد فكرة أنّ العنف مبدأ قابل للتنفيذ لكسب نهايات الشخص، ومن ثَمّ إطلاق العنان للنفس بممارسة العنف، هما أمران ضدّ خطّة خلق الطبيعة. فلا المفهوم ولا الأفعال الناجمة عن ذلك تتفق معَ الخطّة الإلهيّة للأشياء. وهذا هو السبب في أنّ العنف غير مقدّر له أن ينتج أيّ نتائج جيّدة، أو أن يخدم أيّ نهاية بفعل الدمار.

فلو أنّ مزارعًا كانت لديه قطعة أرض خصبة فإنّه يستطيع زراعة كميّات وافرة من المحاصيل، ولكنْ هذا لن ينجح إلا إذا اتّبع طريقة مناسبة تنسجم معَ الطبيعة. ولكن، إذا ابتدأ ومن غير تفكير برشق الحجارة أو إسقاط القنابل على حقله، فإنّه لن يكون قادرًا على جني المحاصيل المطلوبة. فرغم كونه صاحب مساحات خصبة، فلن يكون أفضل حالاً من الشخص الذي لا يملك أيّ شبر مربّع من الأراضي باسمه. وينطبق الشيء نفسه على الحياة البشريّة، فهي تزدهر في جوّ السّلام، وتفنى في جوّ العنف.

إنّ العنف هو نتاج للاختلافات بين الناس. فالذي يؤمن بالأساليب العنيفة يَعُدّ الاختلافات شرًّا أو عقبة في مسار حياته. ولهذا السبب، فإنّه يصبح ممّن عقدوا العزم على طمس الشرّ، لأنّه يعتقد أنّه لا يمكنه تحقيق أهدافه إلا عندما يزيل الخلافات بينه وبين الآخرين. ويُعَدّ هذا سوء فهم كبير؛ لأنّ الاختلافات ليست من صنع الإنسان، فهي من ترتيب الخالق نفسه، وتشكّل جزءًا أساسيًّا من الطبيعة، فلا يمكن أن يوضع حدّ لأيّ شيء يكون جزءًا أساسيًّا من الطبيعة. وعليه، فإنه لا يمكننا إلا أنْ نقبل الطبيعة، والقضاء عليها هو أبعد من قدراتنا. ولهذا السبب، وعندما تتمّ إبادة مجموعة باسم

الاختلافات، فـإنّ مجموعة أخـرى تأخذ مكانها فـورًا، ويستمـرّ الأمر إلى اللانهاية بهذه الطريقة. وهذا هو السبب في أنّ هذه السلسلة من الفعل وردّ الفعل بشأن مسألة الاختلافات لا يمكن وقفها.

إنّ أسلوب العنـف يتعارض معَ خطّة الطبيعة، ممّـا يضمن لكلّ فرد كامل الفرص لأداء دوره أو دورها في التقدّم البشريّ عن طريق استغلال قدراتهم للحدّ الأقصى. ولا يمكن الإفادة من هذه الميزة إلا في جوّ سلميّ. إنّ مرتكبي أعمال العنف، عن طريق تصنيف الناس كأعداء، يحاولون أن يطمسوا حياة الناس الغالية، حتى قبـل أن تُتاح لهم الفرصة للإفـادة من قدراتهم، وكذا إفادة الإنسانيّة منها.

وَوَفقًا لقانون الطبيعة، فـإنّ أيّ مَهَمَّة كبيرة تتطلّـب دائمًا دعم المجتمع ككلّ. فمن غير المشاركة الجماعيّة، لا يمكـن لأحد أنْ يحقق أيّ انتصارات كبيرة. وهذا يمكن أنْ يتحقق فقط في جوّ سلميّ. ويعدّ التعاون المتبادل في جوّ من العنف شيئًا مستحيلاً، ففي مثل هذا الجو يميل الناس إلى أنْ يكونوا غير متوازنين نفسيًّا. فكيف يمكن للتعاون المتبادل أنْ يصبح ممكنًا في مثل هذه البيئة؟

إنّ إحدى شرور العنف تكمن في أنّه في جوّ الشرّ الذي يخلقه، لا يمكن أنْ يحقق أيّة تنمية مستدامة؛ فأيّ مَهَمَّة كبيرة للتقدّم تصبح موجّهة نحو تحقيق النتائج فقط بعد التخطيـط البعيد الأمد والعمل، وهـذا لا يمكن إنجازه إلا في بيئة سلميّة، أمّا في أجواء العنف فإنّ مثل هذه الخطط تتعرّض لنكسات مرارًا وتكرارًا من غير إحراز أيّ تقدّم؛ فبحجة قتل العدوّ، تموت عمليّة التقدّم البشريّ في أرضها.

إنّ الأثر الأكثر سوءًا لاستخدام العنف هو أنّك لا تتلقّى شيئًا في المقابل، حتّى انك قد تهدر المكاسب السابقة وبذا، فإنّ أيّ انتصار تحققه عن طريق اتّباع وسائل العنف هو في الواقع هزيمة.

ما العنف؟ إنّه الخيار الخطأ الذي يتّخذه من يعاني الشعورَ بالحرمان؛ فأيّ مجموعة، سواء على حقّ أو على باطل، قد تعاني هذا الشعور، وليس هناك سوى طريقة واحدة مفيدة للتخلّص من ذلك، وهذا يكون بالوسائل السلميّة. والطريقة العنيفة تُعَدّ قاتلة بحيث إنّها ليست خيارًا لأحد على الإطلاق. والعنف، من وجهة نظر النتيجة، لا يضيف إلا شعورًا بالحرمان، بدلاً من وضع حدّ لذلك؛ فهو ليس إلا انفجارًا لشخص تمّ استفزازه؛ وبذا، فإنّ العنف لا يستطيع تقديم أيّ حلّ إيجابيّ لأيّ مشكلة.

النصر أيضاً هزيمة

لقد ذهب الملك بيروس؛ الملك اليونانّي من القرن الثالث قبل الميلاد، الى الحرب معَ الرومان، وحقّق نصرًا ساحقًا في النهاية، لكنّه كان انتصارًا مكلفًا للجيش الرومانيّ.

دُمّرت جيوشه في هذه المعركة الطويلة، ودُمّر اقتصاد بلاده كليًّا. وبالنسبة إلى بيروس الملك فقد كان هذا انتصارًا في الظاهر، ولكنّ النتيجة لم تكن غير الهزيمة؛ فلقد كانت نجاحاته العسكريّة المكلفة هي التي خلقت المفهوم العصريّ الحالي «انتصار باهظ الثمن».

عندما ننظر إلى تاريخ الحروب المختلفة، لن يكون هناك أيّ مبالغة في القول إنّ معظم الانتصارات في طبيعتها كانت باهظة الثمن؛ فعلى كلّ منتصر

أن يعاني نوعين من الخسائر: الأول: أنّـه يضحّي بالحياة والثروة والموارد، والثاني: أنّه يفقد الحـبّ والاحترام من الطرف المهـزوم، ولهذا فلا يمكن لأيّ منتصر تجنّب معاناة هذه الخسائر. والفرق الوحيد بين منتصر وآخرَ هو أنّه في حين أنّ بعض المنتصرين يعانون الخسائرَ عاجلاً، فإنّ بعضهم الآخر يعانيها في وقت لاحق، ومسألة الخسارة هذه لا تتعلّق إلا بنهج العنف. إنّ نهجًا سلميًّا سوف يؤدّي تمامًا إلى نتيجة مختلفة، فحالما اتّبعنا الطرائق السلميّة، فإنّ النصر، والنصر وحـده يكون النتيجة؛ إذ ليس هناك في هذه الحالة مجال للهزيمة. وحتى لو قـاد الطريق السلمي ظاهريًّـا إلى هزيمة، فإنّ المحصلة النهائيّة ستكون انتصارًا؛ وذلك لأنّ الإنسان قد يخسر حربًا بالطريقة السلميّة، لكنه لا يخسر الفرص. فللكلّ فرص وإمكانات، تمكّنه عن طريق استغلالها جيّـدًا تمكّنه من أنْ يبدأ حياته من جديـد، وأنْ يصل إلى وجهة النجاح.

لقد انتهى عهد الحروب

لقد وقعت المواجهات العسكريّة في العصـور القديمة والعصور الوسطى عن طريق الاشتباك بالسيوف وجهًا لوجه، أمّا في الوقت الحديث فإنّ أسلحة معقّدة ومتطوّرة للغاية تستخدم، مثل الصواريـخ النوويّة. والفرق الأساسيّ بين الوقتين هو في حجم المذبحة فـي كلّ حالة على حدة؛ فسطوة السيوف قد تتسبّب في قطع عدد قليل فقط من رؤوسـ المقاتلين، لكنّ المعادلة في العصر الذريّ تغيّرت تمامًا؛ فالحرب تعني دمارًا شاملاً في الوقت الراهن؛ فالقنبلة التي تستهدف العدو تكون مدمّرة للمستخدم أيضًا. وبمواجهة هذه الحقائق الصعبة، علينا أنْ نسلّم بأنّ الحرب قـد أصبحت ممارسة عقيمة؛

فهي الآن مظهر من مظاهر الجنون، بدلاً من أنْ تكون قياسًا محسوبًا لتحقيق الهدف المرجوّ. وبعد ظهـور الأسلحة النوويّة، أصبحت الحـرب أمرًا لا بدّ من مَقْتِه والتخلّي عنه؛ فعندما نرى أنّ اللجوء إلى الحرب لا يظهر أيّ نتائج إيجابيّة، فإنّ شنّها بعد ذلـك، وبعيدًا عن أنْ تكون خطـوة حكيمة، ليس إلا ضربًا من الجنون.

ويعتقد بعضهم أنّ إنشاء السّلام يتطلّب حكومة عالميّة، وهذا يتطلّب قوّة الشرطة المسلّحة والجيش، اللتين استناداً الى قوّتهما سيتمّ تأسيس السّلام في أنحاء العالـم جميعِها. لكنّ مفهـوم الحكومة العالميّة هـذا غير عمليّ؛ لأنّه لن يخدم الهدف إلا على نحو محدود جدًّا. وبذا، فإنّ مخطط الحكومة العالميّة لإحلال السّلام هو أبعد ما يكون عن المثاليّة.

دعونا نفترض أنّ مثل هذه الحكومة العالميّة قد دخلت حيّز الوجود، فحينها ستكون قادرة على إنشاء السّلام على مستوى الإدارة فقط. وبكلمات أخرى، فإنّ هذه الحكومة العالميّة المتوقعة لن تقدّم وفي أفضل حالاتها إلا سلامًا اجتماعيًّا، ولكنّ الأكثر أهميّة من هذا هو السّلام الذهنيّ، الذي لن تحققه أيّ حكومة عالميّة.

إنّ السّلام على شكل الاستقرار الاجتماعيّ، كما تنفّذه الحكومات القائمة، كان سائدًا في الممالك في العصور القديمة. لكنّ النتائج المرجوّة لم تتحقق أبدًا. والإمبراطوريّة الرومانيّة تقدّم مثالاً على ذلك، فخلال مدّة حكمها التي دامت أكثر من ألف سنة، نشرت السّلام في نطاق واسع في الكرة الأرضيّة. وكانت هذه الحالة تُعرف باسم (باكس رومانا). ولكن، ورغم إحلال السّلام في هذه المدّة الطويلة من الوقت، لم يكن هناك أيّ تقدّم علميّ أو فكريّ.

وهذا يدلّ على أنّه، وبالرّغم من الرّغبة في السّلام الاجتماعيّ، فإنّ هذا سيكون مفيدًا فقط وعلى نحو جزئيّ للتنمية البشريّة. إنّ العمليّة الحقيقيّة للتقدّم البشريّ لن تتمّ إلا عندما يكون لدى الأفراد الذين يشكّلون المجتمع القدرة على التفكير السلميّ، ويقفون جنبًا إلى جنب معَ السّلام بِعَدِّه مظهرًا خارجيًّا، فمن الضروريّ أن يكون لدى الناس سلام داخليّ لتتقدّم البشريّة، بحيث لا يعيشون حياة مليئة بالتوتّر غير الضروريّ، والإجهاد والتناقضات. إنّ الشرط الأكثر أهميّة للتقدّم البشريّ هو عمليّة التفكير، فحالما ابتدأت، عليها ألا تنحرف عن الطريق في مواجهة العقبات. وهذا ضروريّ جدًّا لتنمية الشخصيّة؛ فبهذه الطريقة فقط يمكن للفرد تحقيق أعلى مستوًى للروحانيّة والتفكير الذهنيّ.

إنّ السّلام وبلا شك يُعَدّ شرطًا أساسيًّا للتقدّم البشريّ. وهو، في الواقع، أساس كلّ التقدّم البشريّ. إذا شكّل السلم الاجتماعيّ والسياسيّ 50% من هذا الأساس، فإنّ السّلام العقليّ والروحانيّ سيشكّل الـ 50% الأخرى. بالإضافة إلى أنّ إنشاء السّلام على جبهات وطنيّة ودوليّة يبدو، عمليًّا، أمرًا صعبًا، وربّما لا يمكن تحقيقه على الإطلاق. ولكن وفي الحالات جميعها، فإنّ سلام الذهن الداخليّ أمر يمكن تحقيقه بالتأكيد. وفي ما يخصّ السّلام الخارجيّ، فمن الضروريّ للجميع أن يتعاونوا من أجل المحافظة عليه. أمّا السّلام الداخليّ للعقل، فليس من الضروريّ أن يتوافر أيّ تعاون خارجيّ لتحقيقه؛ فالفرد، وبقراره الشخصيّ، يمكنه تحقيق مثل هذا السّلام، حتى لو أصبح كلّ من حوله ضدّ الفكرة. إنّ هذه الميزة التي يمتلكها الفرد هي الشيء الأكثر حظًّا من غير أدنى شكّ، وفي الحقيقة إنّها نعمة لا تضاهيها نعمة.

بيان للسلام

إنّ السّلام هو الدين الوحيد لكلّ من الإنسان والكـون؛ فكلّ الأشياء الجيّدة ممكنة في بيئة سلميّة، في حين أنّه وفي غيـاب السّلام لا يمكننا تحقيق أيّ شيء ذي طابع إيجابيّ، سواء كأفراد أو كمجتمع. وينطبق الشيء نفسه على الصعيدين الوطنيّ والدوليّ.

ما السّلام؟

لقد عرّف العلمـاء السّلام بقولهـم إنه: «غياب الحـرب»، وهذا التعريف صحيح بلا نقاش؛ فالسّلام في الواقع يعني عدم وجود حالة الحرب أو العنف، ومعَ ذلك، فإنّ بعض الناس يعتقدون أنّ هذا التعريف ليس كافيًا؛ فهم يقولون إنّ السّلام يجـب أنْ ترافقه العدالـة، وإنّ السّلام بلا عدالـة ليس سلامًا. لكنّ وضع مثل هذا الشرط لتحقيق السّلام يُعَـدّ أمرًا غير عمليّ؛ وذلك لأنّ السّلام لا يحقّق العدالة من تلقاء نفسه، ممّا يعني أنّ العدالة ليست بالضرورة عنصرًا من عناصر السّلام. فما يفعله السّلام في الواقع، هو إتاحة الفرص وخلق الظروف المواتية التي تمكننا من السعـي إلى تحقيق العدالة وغيرها من النهايات البنّاءة. إنّ السّلام مرغوب فيه لأجل السّلام نفسه، وكلّ شيء آخر يأتي بعد السّلام، وليس جنبًا إلى جنب معَه.

إنّ سياسة السّلام تخدم دائمًا كـ «قنبلة» للسلام، بمعنى أنّها تقهر العدوّ من غير أيّ سفك للدماء. إنّ التاريخ يدلّ على أنّ قنبلة السّلام أثبتت دائمًا أنّها أقوى من قنبلة العنف؛ «فقنبلة» السّلام تعني الحياة، وقنبلة العنف تعني الموت، كما أنّ «قنبلة» السّلام تقـود إلى العمران والبناء، في حين أنّ قنبلة

العنف تؤدي إلى الدمار. وبالمثل، فإنّ «قنبلة» السّلام تجلب التقدّم، في حين أنّ قنبلة العنف تجلب الفناء. إنّ السّلام يعزّز الإبداع، في حين أنّ العنف يأتي بالعكس تمامًا. وتستند قوّة «قنبلة» السّلام على الحبّ، بينما تستند قنبلة العنف على الكراهية.

وفي هذا السياق، نجد مثالاً مثيرًا للاهتمام عن النهج السلميّ في الهند. لقد ابتدأ كفاح الهند من أجل الحرّية في عام 1857م. ولكن، وحتى بعد أكثر من 60 عامًا من التضحية ظلّ الهدف السياسيّ المنشود حلمًا بعيد المنال. ثمّ، في عام 1920م، ظهر غاندي كقائد لكفاح الحرّية متّخذًا منعطفًا كاملاً، فقد تخلّى عن أسلوب العنف واختار مسار العمل السلميّ من أجل حركة الحريّة.

وقد أخذت الأمور منعطفًا إعجازيًّا بعد ذلك، في الحين الذي أصبحت فيه الإمبراطوريّة البريطانيّة مشلولة؛ فقد حرم غاندي البريطان من أيّ مبرّر لاستخدام العنف، والحكاية الآتية هي خير مثال على ذلك، فعندما أطلق غاندي حركة الحريّة في الهند عن طريق اتّباع الوسائل السلميّة بدلاً من اللجوء إلى العنف، فقد أرسل ضابطًا بريطانيًّا ببرقيّة إلى نظيره تحمل هذه الكلمات:

«أرجو أنْ تبرقوا لنا بتعليمات كيفيّة قتل نمر بأسلوب غير عنيف».

ولذلك فإنّ النجاح الذي لم يكن في المتناول، وحتى بعد صراع طويل وعنيف، قد تحقق بوساطة طريقة سلميّة في مدّة قصيرة من الزّمن.

السّلام نظام كامل في قواعد السلوك

إنّ للعنف والسّلام على حدّ سواء مدلولات واسعة، فالعنف يشمل كلّ شيء من الكراهية وصولاً إلى الحرب. وينطبق الشيء نفسه على السّلام، الذي يتضمّن كلّ شيء من التسامح والحبّ. إنّ كلاً من العنف والسّلام هما نتائج للتفكير الإنسانيّ، وهؤلاء الذين يتورّطون في أعمال العنف هم أسوأ الناس في هذا العالم، في حين أنّ أولئك الذين يختارون السلوك السلميّ هم الأفضل. إنّ السّلام يعني الحياة الطبيعيّة، والحياة الطبيعيّة توفر كلّ هذه الفرص في بيئة صحيّة. وينبغي أنْ تسود الحالة الطبيعيّة؛ حيث يمكن للناس العيش والعمل من غير أيّ عائق خارجيّ.

كما أنّ العنف يغلق الأبواب أمام النشاطات الإيجابيّة، في حين أنّ السّلام يفتح الأبواب لها، فيخلق جوًّا من التعايش الإيجابيّ للفرد، والمجتمع والأمة ككلّ. إنّ أنواع الإنجازات جميعها تكون ممكنة في بيئة من السّلام؛ فإذا كانت مواقف العنف تعرقل تلك الفرص، فإنّ السّلام يساعدها على الازدهار؛ حيث تتمّ رعاية قدرات الإنسان الخلاقة وتطويرها.

ففي حين أنّ السّلام هو نعمة للمجتمع البشريّ، فإنّ العنف لعنة. فالسّلام مصدر قوّة، والعنف هو العائق، والسّلام هو الحبّ، والعنف هو الكراهية، كما أنّ السّلام هو المحبّة، والعنف هو العداء. وكذا فإنّ السّلام يُقرّب الناس، والعنف يفرّقهم، وهو يعزّز مستوًى عاليًّا للثقافة البشريّة، كما يعمل على ازدهارها، في حين أنّ العنف يعزّز ثقافة الغاب، والسّلام أيضًا يرفع الإنسانيّة إلى مستوى الوجود الاجتماعيّ المتحضّر، في حين يقود العنف إلى الانزلاق في الهمجيّة، أضافة إلى أنّ السّلام يعزّز الحياة، بينما العنف نذير

الموت والدمار، فضلاً عن أنّ السّلام يجلب العناصر الجيّدة في المجتمع إلى الصدارة، في حين يفعل العنف العكس تمامًا.

السّلام يحوّل القلة إلى كثرة

وَفقًا للطبيب النفسانيّ الألمانيّ؛ ألفريد أدلر، فإنّ البشر يمتلكون ميزة فريدة من نوعها، هي «قدرتهم على تحويل السالب إلى موجب». ما الذي يمكّن الإنسان من أداء هذا العمل الفذّ غير العاديّ؟ إنّ الجواب الوحيد هو أنّ ذلك يتمّ من خلال السّلام؛ فدماغ الإنسان كنز للقوّة غير المحدودة، فإذا فقد الإنسان طمأنينة النفس وقت الأزمة، فإنّه ليس في موقع يخوّله للإفادة من قدرته العقليّة بطريقة إيجابيّة. إنّ التفكير السلبيّ هو عقبة في طريق التنمية البشريّة، في حين أنّ التفكير الإيجابيّ يُعَدّ مانعًا للحياة؛ كونه يحفّز القدرات البشريّة. ولذلك، حين يتمكّن الفرد أو الأمة من المحافظة على السّلام في كلّ حالة، فإنّ العديد من الإمكانات تنفتح أمامه، وهذا يحدث عندما نتمكّن من تحويل السالب إلى موجب.

الطريق إلى تحقيق السّلام

إنّ السّلام أمر ضروريّ للحصول على طريقة أفضل للعيش؛ سلام العقل، والسّلام في الأسر، والسّلام في الطبيعة. واليوم، في هذا العالم التكنولوجيّ الحديث، فإنّ الإنسان قد تمكّن من الوصول إلى كلّ ما يريد، ومعَ ذلك وفي غياب السّلام، فقد كان كلّ شيء بلا مغزى. إنّ المطلوب لمعالجة التوازن هو الحبّ والرّحمة والتسامح والصبر وروح التعايش.

كيف يمكن أن نحقق السّلام؟ إنّ الصيغة بسيطة جدًّا. أقبل بحصّتك من غير أن تغتصب شيئًا من الآخرين، ولبِّ حاجاتك الخاصّة من غير حرمان الآخرين ممّا هو لهم، وأشبع رغباتك من غير إحباط الآخرين، وحقّق طموحاتك من غير إنكار حقّ الآخرين في أن يقوموا بالمثل تحقيقًا لرغباتهم وطموحاتهم. وباختصار، حلّ مشكلاتك الخاصّة من غير خلق مشكلات لمن هم حولك. إنّ التعايش السلميّ هو السبيل الوحيد للوجود في هذا العالم.

ومعَ ذلك، فالحياة السلميّة لا يمكن تحقيقها إلا عندما يدرك البشر حدودهم ويلتزموها. وَوَفقًا للقانون الإلهيّ، فإنّك تستطيع أنْ تأخذ من العالم كلّ ما ترضي به حاجتك، لا جشعك. فيمكنك المتاجرة معَ الآخرين، لا استغلالهم. ويمكنك أيضًا إنشاء الفرديّة الخاصّة بك، ولكن ليس على حساب الأسرة والمجتمع. قد تحيا حياتك اليوميّة عن طريق المحافظة على التقاليد الاجتماعيّة وليس بتدميرها، ولك الحريّة الكاملة لتعيش حياتك الخاصّة، ولكن بالاهتمام ببقية أفراد المجتمع لا من خلال تجاهلهم، ويمكنك استخدام الموارد لصالح الإنسانيّة، ولكن ليس من أجل التدمير، ويمكنك أيضًا الإفادة من موارد الطبيعة لمنفعة البشريّة، لا من أجل تدميرها، كما أنّ لك الحرّية في استخدام الوسائل السلميّة، لكنّك لست مخوّلاً لاستخدام العنف، وكذا فإنّ لك الحرّية في استخدام موارد الطبيعة، ولكن بالمحافظة على توازنها، علاوة على أنّ لك الحريّة في استخدام الطاقة النوويّة لأغراض سلميّة، لا لبناء أسلحة دمار شامل، ولك أيضًا الحريّة لتغذية مشاعر المودّة والرحمة، ولكن ليس لتفسح المجال للكراهية والتحيّز، فأنت حرّ في تلبية حاجاتك ورغباتك الجسديّة الخاصّة بك، ولكن ليس بقتل روحك من الناحية الروحانيّة. وباختصار، فإنّ لديك الحريّة لتستمتع بالحياة من خلال التشارك معَ الآخرين، لا بالقضاء عليهم.

ثمن السّلام

لا نستطيع الحصول على أيّ شيء في هـذا العالم من غير دفع الثمن في المقابل؛ فلكلّ شيء ثمنه، وهذا ينطبق تحديدًا على السّلام؛ فإذا كنّا نريد السّـلام فعلينا أنْ نكـون على استعداد لدفـع ثمنه أو نقـف محرومين منه. ولكن، ما ثمن السّلام؟ إنّه وبكلّ بساطة التسامح؛ فنحن نعيش في عالم من الاختلافات التي لا يمكن القضاء عليها، ولذلك، ليس لدينا سوى خيارين: إمّا اعتماد سياسة التسامح أو التعصّب، ففي حين أنّ الأخيرة تقود إلى العنف، فالأولـى تضمن السّـلام، فحيثما كان التسامـح كان السّـلام، وحيثما كان التعصّب كانت الحروب وأعمال العنف. وهذه هي الصيغة العالميّة الوحيدة للتسامح من أجـل السّلام، وهذه الصيغة نفسها يمكـن تطبيقها بنجاح في الحياة العائليّة والحياة الاجتماعيّة، وكذلك على المستوى الدوليّ. إنّ السّلام يتطلب منّا تعزيز ثقافة التسامح؛ لأنّ التعصّب لا يؤدّي إلا إلى الحرب.

الطبيعة نموذج للسلام

إنّ السبب الجذريّ في العالم الحاليّ لمعظم مشكلاتنا يمكن أن يعزى إلى الانحراف عن نموذج المنهج السلميّ للطبيعة، الـذي هو أفضل نهج نتّبعه؛ فالمعضلات جميعها التي نواجهها اليوم تنشأ لأننا لم نتّبع أثر الطبيعة.

فالنجوم والكواكب في حركة مستمرّة فـي مداراتها، لكنّها لا تتصادم معَ بعضها بعضًا، وهذا يظهر للإنسان كيفيّة المُضِيّ قُدُمًا من غير الصراع معَ الآخرين. والشمس أيضًا نموذج ممتاز، فهي ترينا كيف يجب أنْ نعطي الحياة للآخرين من غير أيّ تمييـز بينهم، كما أنّ الشجرة هـي أيضًا مثال ساطع

للإنسان، وذلك بتزويدنا بالأوكسجين الصحيّ والمفيد مقابل حصولها على غاز ثاني أكسيد الكربون الضارّ. وانظر إلى الأزهار كيف تنشر عبقها في كلّ مكان، من غير انتظار المقابل على فعل ذلك، والنبع المتدفق هو أيضًا مثال نموذجيّ عندما يروي الحقول من غير توقع أيّ شيء في المقابل. وخُلاصة الامر أنه من غير غرس قيم الإيثار هذه بين بني البشر، فلا وجود لحياة ممكنة وذات معنًى على الأرض.

وباختصار، فإنّ الإيجابيّة تسود في أنحاء الطبيعة جميعها، والسلبيّة لا وجود لها في العالم الطبيعيّ. وهذا يعلّمنا درسًا هو أنّ استجابتنا يجب أنْ تظل إيجابيّة في الأوقات جميعها، حتى في الحالات السلبيّة.

عالم الطبيعة الجميل

إنّ العيش الإيجابيّ ليس له صلة مقتصرة فقط على السلوك الأخلاقيّ؛ فبدلاً من ذلك، فإنّه يتعيّن علينا أنْ نتّبع مسارًا إيجابيًّا في الأوقات كلّها والحالات جميعها؛ لأنّه وفي هذا الكون الفسيح، لا يوجد إلا كرتنا الأرضيّة الصغيرة؛ حيث يمكن للبشر أن يعيشوا. وحتى الآن، لم نكتشف أيّة بقعة أخرى في المجرّة تحوي أنظمة دعم للحياة. ولذلك فإنّ المحافظة على الطبيعة تُعَدّ مرادفًا للمحافظة على الحياة، في حين أنّ تدميرها سوف يؤدّي إلى الانقراض الكليّ. وباختصار، فإنّ الانخراط في التعايش الإيجابيّ باستمرار يساهم في إنقاذ الحياة، في حين أنّ الفشل في القيام بذلك هو وسيلة مؤكّدة للانتحار.

هذا العالم الجميل الذي خلقه الله يمضي في طريقه إلى التدمير على يد الإنسان.

إنّ العنف واسع النطاق، والاضطرابات البيئيّة وظاهرة الاحتباس الحراريّ أصبحت جميعها تشكّل خطرًا أكبر من خطر حرب عالميّة ثالثة. وفي الواقع، فإنّها تبدو كما لو أنّ الحرب العالميّة الثالثة قد داهمتنا فعلاً، وهذا هو أكبر تهديد نواجهه هذه الأيام، ولهذا كان علينا أن نعمل بإخلاص واتحاد لإنقاذ الطبيعة لمصلحة البشريّة جمعاء.

السّلاح النوويّ من أجل ماذا؟

إنّ القنابل النوويّة والأجهـزة التدميريّة الأخرى تُعَـدّ ضدّ هذا المخطط الإلهيّ تمامًا والسائد في عالم الطبيعة الجميـل. إذن، لماذا يجب أنْ يكون هناك، وبعد ذلك، هذا التخزين الحاليّ للأسلحة النوويّة، الذي يُعَدّ أعظم تهديد، ليس فقط للسلام وإنما أيضًا لبقاء الجنس البشريّ؟

وهنا ينبغـي تأكيد أنّ الأسلحـة النوويّة غير صالحـة للاستعمال؛ فسلاح دمار شامل، كالقنبلة الذريّة مثلاً، لا يمكن استخدامه إلا مرّة واحدة فقط. لذلك، فإنّ هيروشيما وناغازاكي قد مثلتا نقطـة وقف كاملة، لا فاصلة. ثمّ لماذا تحاول بعض الدول الحصول على المزيد فالمزيد من القنابل النوويّة؟ الجواب: لأنّهم يريدون المحافظـة على وضعهم بِعَدِّهم قـوًى نوويّة، معَ أنّ هناك بديلاً أفضل بكثير من امتلاكهم القوّة النوويّة.

هو أنّه يجب أن يدمّروا كلّ القنابل النوويّـة؛ فمثل هذا الفِعل من شأنه أنْ يؤدّي إلى «انفجار» سلميّ، وأيّ شخص يتجرّأ على القيام بذلك سيظهر وكأنه الفائز الروحانيّ في القـوّة الأخلاقيّة العظمى، على عكـس المتنافسين في السباق النوويّ؛ حيث يمكن ألا يكون هناك أيّ فائز.

وممّا لا شكّ فيه أنّ كونك القوّة الأخلاقيّة العظمى يجعلك في طائرة تحلّق آلاف الأميال أعلى ممّن يَعُدّ نفسه قوّة نوويّة عظمى. ومثل هذه الخطوة الثوريّة قد لا تؤخذ على أساس ثنائيّ الجانب، فمن الممكن تطبيقها على أساس الجانب الواحد. إنّ عمليّة نزع السلاح النوويّ ليست مجرّد فعل تدمير للأسلحة النوويّة؛ فنزع السلاح النوويّ، في الواقع، هو تحويل «قنبلة العنف» إلى «قنبلة السّلام»، ممّا يُحدث انفجارًا سلميًّا. وأيّ دولة تثبت أنّها جريئة بما يكفي لتغتنم هذه المبادرة السلميّة، ستخسر ظاهريًّا حالتها من الطاقة النوويّة، ولكنها في الوقت نفسه ستكسب أوضاعًا أعلى شأنًا وقوّة، هي القوى الأخلاقيّة والروحانيّة العظمى. فمثل هذه القوى فقط يمكنها تلبية حاجة الساعة، وهي بدء عمليّة السّلام. وانفجار «السّلام» هذا يستطيع تحويل هذا العالم الحافل بالعنف إلى عالم يسوده السّلام.

السّلام سلوك إيجابيّ

السّلام هو نتاج موقف عقليّ إيجابيّ، بينما يكون العنف نتيجة لسلبيّة التفكير. إنّ السّلام هو الحالة الطبيعيّة للمجتمع، بينما يعدّ العنف حالة غير طبيعيّة، والسّلام يتماشى وَفقًا لخطّة الطبيعة بقدر ما يكون العنف ضدّها؛ فعندما تسود الظروف السلميّة في المجتمع فإنّ كافة النشاطات جميعَها تتمّ بأشكالها المناسبة، ولكنّ إذا تمّ الإخلال بأجواء السّلام، فإنّ السير المعتاد للمجتمع سيتعطّل، وهذا القانون ينطبق على الإنسان، وكذلك على الكون كلّه؛ فوَفقًا لمخطّط الطبيعة، فإنّ السّلام هو السرّ الوحيد لسير الأمور بسلاسة وانتظام في المجتمع البشريّ، وكذلك في بقيّة الكون، ولذلك فإنّ السّلام شرط أساسيّ للإنسان، ممّا يستدعي المحافظة عليه في الحالات جميعها؛

فمن غير السّلام لا يمكن أنْ تكون هناك تنمية أو تقدّم، كما أنّه لا يوجد أيّ عذر يبرّر على الإطلاق استخدام العنف، سواء على المستوى الفرديّ أو الوطنيّ. وبغضّ النظر عن وضع الظروف المحيطة، فإنّنا لا نستطيع الاستغناء عن بيئة من السّلام؛ لذا يجب علينا المحافظة على السّلام من جانب واحد؛ وذلك لأنّه ما من شيء نرغب في تحقيقه قد يتمّ من غير السّلام.

إنّنا إذا فشلنا في تحقيق السّلام، فإنّ علينا أنْ نواجه الدمار في كلّ ميدان من ميادين الحياة، فالخيار أمّامنا ليس بين السلم واللاسلم، ولكنّه بين السّلام والإبادة. لذا، فمن غير سلام لا يوجد أمل لبقاء الجنس البشريّ.

الراحة الروحانيّة

إنّ أكثر ما يزعج خطّة الطبيعة السلميّة يعزى أساسًا إلى حقيقة أنّ الناس أصبحوا ماديّين على نحو مفرط. وهذا هو التفكير الذي يؤدّي إلى استغلال الطبيعة، ممّا يؤدي إلى اضطراب في خطّة الطبيعة السلميّة. فإذا اختار الناس طريق الاعتدال فإنّهم سرعان ما سيكتشفون أنّهم إذا كانوا مرتاحين ماديًّا في السابق، فإنّهم سيكونون مرتاحين روحانيًّا الآن. وممّا لا شكّ فيه أنّ الراحة الروحانيّة أفضل بكثير من الراحة الماديّة.

إنّ مرتكب العنف، سواء كان هتلر أو رجلاً عاديًّا، يعاني دائمًا تأنيبَ الضمير، في حين أنّ صانع السّلام يستمدّ الارتياح الكبير من جهوده. وإذا كان للمرء أنْ يفكر في النتيجة النهائية، فلن ينغمس أحد أبدًا في العنف.

وينبغي على الجميع أنْ يضعوا في حسبانهم أنّ السّلام يتّفق والبشريّة، في حين أنّ العنف يعني الانحدار إلى مستوى الحيوان.

السّلام حقّ الإنسان المطلق

إنّ ثورة السّلام هي نتيجة التفكير السلمـيّ؛ فالعقول السلميّة تعمل لعالم يسوده السّلام، فقد ولد الإنسـان في سلام ويجب أن يمـوت في سلام. إنّ السّلام حقّ الإنسان منذ الولادة، وهو أعظم نعم الله لبني البشر.